راي للمناقشــة

حول اصل الاسم ((سوريــة))

د. فاروق اسماعيل

جامعة حلب

على ارض شرقنا القديم نهضت أقدم الحضارات الانسانية ، وسطرت اقــدم الوثائق الكتابية التي تروي صفحات زاهية عن تاريخ المنطقة بمختلف جوانبه . وكانت ارض سورية موئلا ثراً حيوياً ، ففي رحابها واركانها تجولــت القوافــل التجارية ، وازدهرت الحياة الزراعية والرعوية ، وبرزت ممالك ودويلات ، ودارت جولات من الحروب . كذلك برع سكانها في ابداع ثقافية متميزة شملت الفنون والاداب .

منذ أواخر القرن الماضي ظهرت آراء كثيرة في تفسير اصل الاسم « سورية »، وتحول الامر الى موضوع مثير ومسألة تعددت فيها الاراء الى حد كبير ، دون الوصول الى نتيجة نهائية . والسبب في ذلك هو غياب الوثائق التاريخية العلمية التي تقــدم تفسيرا مباشرا ، لذا يبقى الامر في اطار الاقتراحات المعتمدة على استنتاجات شخصية ذاتية . وهنا يبرز الاختلاف في المنطلقــات والمصادر المعتمــدة وكذلــك في الغايات المنشودة ، وليست جميعها علمية تاريخية . وهكذا تعددت الاراء بشكل لانجده في كثير من المسائل الاخرى .

هذه محاولة لبسط جميع الاراء التي طرحها المستشرقون المختصون في حضارات الشرق القديم مع مناقشة لها . وهي لا تهدف الى تقديم جواب نهائي للمسألة ، لان ذلك في اعتقادي سيكون في المحصلة اغلاقا لباب يجب ان يبقى مشرعا ريثما تتوافر قرائن ووثائق اخرى .

لا خلاف في أن الاسم بصيغته الحالية يوناني ، وان اول مــن ذكره هو المؤرخ هيرودوت (ولد سنة ٤٨٤ ق.م) ثم كسينوفون (٤٢٦ ـ حوالي ٣٥٥ ق.م) .ولكن التساؤل الذي يطرح نفسه هــو : علام اعتمد اليونان في هذه التسمية ؟ وما المصــدر الذي اشتق منه الاسم ؟ وما التبدلات التي طرات عليه . . . ؟ الخ .

لعل المستشرق الالماني نولدكه(١) T. Nöldeke هو أول من تعرض للمسألة عــام

١٨٧١م ، ورأى ان الاسم مشتق من اسم بلاد آشور (شمال بلاد الرافدين) ، ثم انتقلت الدلالة الجغرافية وتوسعت لتشمل المنطقة المتاخمة لها غربا .

في اعتقادي ثمة شرطان اساسيان يجب ان يتوافرا في مطابقة من هذا النوع ، اعني الاطار الجغرافي الموحد والتوافق في الاشتقاق اللغوي . وواضح ان راي نولدكة يفتقر لكليهما ، فللبلدين منذ القديم حدود متميزة خاصة ، وان تعرضت عبر التاريخ الى التداخل والاتساع او التقلص ، وتباين في كثير من المقومات والمظاهر الحضارية ، واختلاف في الهوية السكانية . ومن ناحية ثانية ليست لدينا شواهد مماثلة تبين حدوث مثل هذا الانتقال الدلالي الجغرافي الذي يطرحه نولدكه .

لقد خلط نولدكه ، كما فعل عدد من كتاب العصر الكلاسيكي ، بين الاسمين بسبب التشابه اللفظي ، وهو اتجاه مرفوض في دراسات علم اللغة رفضا قاطعا .

في قاموس العهد القديم ، الصادر عام ١٩٠١ ، يتجه سميث(٢) اتجاها اخر اذ يربط بين الصيغة اليونانية للاسم (سوريا) واسم مدينة صور المعروفة . وهو يرمي الى تأكيد الاصل العبري للاسم لقناعته بأن كلمة صور عبرية بمعنى « الصخرة ، المنحدر الصخري » . وما يفند هذا الزعم أمران ، هما :

١ ــ كلمة صور ليست عبرية فحسب ، وانما هي من الكلمات التي تشترك فيها عدة لغات سامية قديمة ، فقد وردت في ملحمة جلجامش المدونة باللغة الاكدية (البابلية القديمة ، النصف الاول من الالف الثاني ق.م) دالة على الصخور(٣) . كما وردت اسما لمدينة صور في الكتابات الاوغاريتية (القرن الثالث عشر ق.م)(٤) ، ثم في النقوش العبرية (نقش سيلوح)(٥). وفي الارامية الدولية (القرن الخامس ق.م) تحولت الصاد طاء (طور)(٦) ، وكذلك في السريانية بمعنى « هضبة ، جبل »(٧) .

٢ ــ معروف ان اليونان عرفوا المدينة باسم Tyre (تلفظ تور) ، اي بالتاء ، وهي صيغة متأثرة بالارامية على الارجح . فاذا كانوا قد اشتقوا اسم سوريا من صور ، فلماذا ابدلوا الصاد تاء ؟.

وفي عام ١٩٤٥ نشر هـ . كراب(٨) دراسة عن اله اناضولي قديم يصور في هيئة اسد ويسمى « سوريا » ، وحاول الربط بين الاسمين . وهو رأي لا يدعمه سوى التشابه اللفظي ، ولا تسنده اية ادلة علمية .

في الاونة الاخيرة ساد بين اوساط الباحثين رأي يلقى قبولا . وهو يتلخص في ان الاسم مشتق من اسم الشعب الخوري (في الدراسات العربية : الحوري ،

الحوريون) . والحوريون شـعب لا يمت بصلـة الى مجموعـة الشـعوب المعروفة بـ (السامية) ، ولكنه أصيل في منطقة الشرق الادنى القديم ولا سيما سورية . وهـو من الشعوب الهند أوربية ، كان مستقرا في البدء في مناطق شمال غرب ايران وارمينيا وفي أواخر الالف الثالث ق.م بدأ بالانتقال والتغلغل جهة الغرب والجنوب الغربي ، وتوزع في اصقاع شتى من بلاد الرافدين وسورية ، وبدأ ذكر الحوريين يتردد في الوثائق الكتابية المسمارية بدءا من الفترة المسماة بـ « عهـد سلالـة أور الثالثـة أو البعث السومري » ، وكان لهم وجود متميز في أبرز المراكز الحضارية في الالف الثاني ق.م مثل : نوزي ، أرابخا ، شبت انليل / شخنا ، ماري ، ايمار ، الالاخ ، اوغاريت .

شكل الحوريون عنصرا اساسيا في المملكة التي انشأها الميتانيون في منطقة مثلث الخابور (حوالي ١٤٦٠ – ١٣٣٠ ق.م) ، وكانت واشوكاني – التي يفترض وقوعهـا في منطقة منابع الخابور – عاصمة لها . في عهد هذه المملكة برزت علاقات متميزة بـين حكام ميتاني والسلالات الحاكمة في مصر ، وتبادلوا الرسائل وعقدوا الاتفاقات للحد من الخطر الحثي . وبشكل عام سيطر الحوريون لفترة من الزمن على معظم مناطـق شمال وشمال شرق سورية ، وكانت نهاية سيادتهم السياسية على يد الحثيين .

تطلق الوثائق الكتابية المصرية اسم خورو على المناطق السورية ، وبالاسم نفسه ذكرتها الرسائل المكتشفة في تل العمارنة بمصر ، وهي رسائل مدونة باللغة الاكديـة تبادلها امراء سورية وفلسطين مع فراعنة مصر (القرن الرابع عشر ق.م) وكان الاسم يشير الى المنطقة المجاورة لمصر من جهة الشمال مقابل اسم كوش الذي كان يشـير الى المنطقة الواقعة جنوب مصر . كما سمى المصريـون البحر الاحمـر – وفي بعض المصادر البحر المتوسط – باسم «بحر خورو » لانه يفصل بلادهم عن بلاد خورو .اما النصوص المصرية القبطية التالية فقد اطلقت عليه اسم « بحر شوري »(٩) .

لذلك يعتقد ان اصل الاسم هو (خ ر و) ، ثم ابدلت الخاء في القبطيـة شينا (ش ر ي) ، وهو ابدال مقبول لتوافر شواهد عدة مماثلة في النصوص القبطية . كما ان الابدال بين الصائتين (و/ي) امر مألوف شائع . وجدير بالذكر أن الاسـم ورد بالصيغة نفسها – مع اضافة النون – في وثائق أوغاريت (ش ر ي ن)(١٠) .

ويرى الذاهبون الى هذا الرأي أن اليونان اعتمدوا على الصيغة الاخيرة بعد قلب الشين سينا ، وهو شائع أيضا .

من جانب آخر فان اسم شوري شائع في الوثائق المسمارية ، ويطلق دائما على مواقع ومدن حورية . فثمة مواقع عدة بهذا الاسـم كانت مأهولة بالحوريين ، وتقع

في مناطق متفرقة . فقد اوضحت دراسات تناولت المعطيات التاريخية الجغرافية في الوثائق المسمارية وجود مدينة باسم شوري في منطقة مديات التركية (ربما في تل سوار غرب مديات)(١١) . واخرى في منطقة مثلث الخابور ذكرت في وثائق شاغر بازار وماري وتل ليلان(١٢) . كما اشير الى مدينة بالاسم نفسه في وثائق نوزي (يورغان‌تبه قرب كركوك) .

ومن الاراء التي يمكن عدها ثانوية تفتقر الى حجج مقنعة نذكر :

١ ـ الاسم مشتق من اسم جبل حرمون بصيغته المذكورة في العهد القديم (سريون)(١٣) .

٢ ـ مصدر الاسم هو الاسم المذكور في نقش للملك كسرى ، حيث ورد فيه (سيرارا وجبل لبنان) (١٤) .

معلوم ان منطقة سورية عرفت في النصف الاول من الالف الاول ق.م باسم آرام (العليا والسفلى)(١٥) لانها كانت مأهولة بالاراميين الذين انتشروا في مختلف ارجائها ، واسسوا فيها ممالك ودويلات صغيرة كانت في صراع دائم مع الاشوريين بهدف التخلص من نفوذهم في المنطقة(١٦) . كما أن اللغة الارامية في ذاك العهد تفردت بخصائص لغوية مستقلة(١٧) . بعد ذلك انتشرت الارامية كلغة مراسلات دولية في مناطق متفرقة وصلت ايران وما وراءها ومصر . ثم برزت خصوصيات لهجوية واضحة بسبب سعة رقعة الانتشار الجغرافي وتعدد الممالك لدرجة تسمح بالحديث عن لغات آرامية منها : التدمرية والنبطية والفلسطينية ، وآرامية جزيرة الفيلة بمصر ، وارامية مملكة الحضر .. وغيرها .

في القرون الاربعة السابقة للميلاد شهدت ارض سورية صراعات بين القوى الاجنبية على ارضها كالفرس واليونان والرومان . وكان سكانها الاراميون والعرب يحاولون اثبات الذات والاستقلال بشؤونهم ، وقد انعكس ذلك في الاحداث التي شهدتها أبرز المدن أو الممالك السورية كتدمر والبتراء والرها وانطاكية ..

لقد تبنى اليونان الاسم الجديد للبلاد (سوريا) ونشروه بدلا من (آرام) ، واعتمادا على ذلك سموا سكان البلاد أيضا باسم جديد هو (سوريان ، سريان) أي السوريين في صياغة يونانية . ومع فجر الديانة المسيحية التي اعتنقها قسم كبير من السكان ، تمسك هؤلاء بالتسمية الجديدة التي توحد بينهم ، ونبذوا الاسم القديم لهم (الاراميين) لانه يذكر بعهود وثنيتهم .

في هذه الفترة تميزت مملكة الرها الارامية الاصل كمركز اساسي هام من مراكز الديانة الجديدة ، وبرزت كذلك لغة الرها ، وانتشرت وطغت على اللغات الارامية الاخرى التي اختفى استعمالها مع مرور الزمن . وكان طبيعيا ان يشمل تغير اسم السكان اسم لغتهم ايضا ، فصارت تسمى (السوريانية ، السريانية) اي السورية في صياغة يونانية أيضا .

فالناطقون بهذه اللغة فيعصرنا هم آراميو الاصل سوريو الموطن مسيحيو الديانة.

الحواشـــي :

(١) راجع : Hermes 5 (1871) 443-468

(٢) Smith's Bible Dictionary (Syria) 669

(٣) راجع معجم اللغة الاكدية :

W. von Soden: AHw 1115.

(٤) راجع معجم اللغة الاوغاريتية :

C. H. Gordon : Ugaritic Textbook. 476 .

(٥) راجع معجم النقوش السامية الشمالية الغربية :

Ch— F. Jean; J. Hoftijzer : DISO, 247 .

(٦) انظر المعجم نفسه ، 110 .

(٧) انظر قاموس كوستاز ص ١٢٥ .

(٨) H. Krappe: The Anatolian Lion God . JAOS (1945) 144-145.

(٩) راجع الدراسة التالية والمراجع المذكورة فيها :

J.A. Tvedtnes : The Origin of the Name «Syria». JNES(1981) 139-140 .

(١٠) انظر المرجع المذكور في الحاشية (٤) . ص ٤٩٥ .

(١١) انظر :

K - H. Kessler : Untersuchungen zur historischen Topographie Nordmesopotamien ......, 1979, 57 ff.

(١٢) انظر :

F. Ismail : Altbabylonische Wirtschaftsurkunden aus Tall Leilan (Syrien) . Diss. Uni . Tübingen, 1991, 147 .

(١٣) ذكر في سفر التثنية ٣ : ٩ والمزامير٢٩:٦.

(١٤) راجع :

J. B. Pritchard : ANET, 291.

(١٥) راجع مثلا النقوش المكتشفة في السفيرة (قرب حلب) .

(١٦) راجع : علي ابو عساف : الاراميون . دار اماني ١٩٨٨ .

(١٧) حول لغة تلك الممالك الارامية القديمةراجع: فاروق اسماعيل : لغة نقوش الممالك الارامية رسالة ماجستير . جامعة حلب ١٩٨٤ .